

• أما الفوائد من هذه القصة على سبيل الاختصار:

الفائدة الأولى: رحمة الأم بالأبناء، هي الحاضنة هي المدرسة هي المربية هي المعلمة لولدها على اعتقادها وبرئيتها وتوجيهها تقوم الأجيال.

إنما يحصل ذلك من الأم بالدعاء كما كانت تدعو هذه الأم لولدها، وبالاستعانة بالله ﷺ والتربية الصحيحة والتوجيهات السليمة.

ليس من الرحمة، وليس من حسن التربية أن تكون الأم بعيدة عن أبنائها بعيدة عن توجيههم وعن نصحهم، هناك بعض الأمهات وقليل ما هن تظن أن التربية وأن الرحمة بالقبلة والمعانقة فقط، كما أن الابن يحتاج إلى هذه الرحمة من الحب والاحتضان من عظيم رحمتك أن تغرسى في قلبه الخير، أن تغرس في قلبه العقائد الصافية والأعمال الطيبة والأخلاق الجميلة، فكما أن كل أم تحب أن تعنى بمظهر ولدتها فعليها أن تعنى بمخبر ولدتها وباطنه فتكتمل رحمتها.

الفائدة الثانية: محاورة الابن لأمه في حدود الأدب وحدود الرحمة وخفض الجناح.

في بعض الأحيان قد تريد الأم من رحمتها بالابن أمراً لكنه غير صحيح وهذا حاصل، والابن يعلم أن هذا الشيء غير صحيح، فلابد أن تراجع أمك بحسن أسلوب وخصوص وسكيئة وعطف وبكل أساليب الود لا يكن مثل بعض الأبناء رافعاً صوته على أمه يحاورها وكأنه يحاور صديقه، يناشها وهو ينظر إليها نظرة اشمئزاز، والقهر والغضب **(فَلَا تُقْلِلْ لَمَّا آتَيْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا)** [الإسراء الآية: ٤٣].

فدعتم الله ألا يكون ولدتها مثلها، فأخبرها ذلك الولد أو الطفل بعد أن أنطقه الله عن حقيقتها، فلا يغتر الإنسان بالظاهر وإنما عليه بالحقيقة، فكم من مظلوم هو عند الله منصور وغير مظلوم، وكم من وضع هو عند الله عالٍ وكم من حقير في نظر الناس هو عند الله ﷺ غالٍ.

وتأملوا قول النبي ﷺ لبلال: **«إني سمعت خشخت عليك في الجنة»** ^(١).

وقابل به قوله ﷺ: **«تَبَّتْ يَدَّاً لِهَبٍ وَتَبَّ** ^(٢) [المسد الآية: ١].

رفع الله قدر بلال وهو عبد جبشي فقير، رفع الله قدره في الدنيا والآخرة، وحط الله من أبي لهب وهو رفيع النسب غني عربي قرشي، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: **«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم»** ^(٣)، هنا الحقائق.

لذلك يأتي الرجل يوم القيمة فلا يسوى شيئاً كما يقول **« يأتي الرجل السمين العظيم يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة»** ^(٤).

أبو طالب غريق في لجة الهلاك، وسلمان الفارسي على ساحل النجاة، والوليد بن المغيرة يقدم قومه في التيه، وصهيب قدم بقالة الروم، والنباشي في أرض الحبشة، يقول: **«لبيك اللهم لبيك، وبلال ينادي: الصلاة خير من النوم، وأبو جهل في رقدة المخالف، من أبطئ به عمله لم يُسرع به نسبه»**.

^(١) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٤٤٥٨) بمعناهما.

^(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

^(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

هذه القصة حفظكم الله قصة عظيمة وفيها قيم كثيرة جداً سأذكر لكم قيمتين:

• أما القيمة الإيمانية: إن الله ﷺ على كل شيء قادر فقد أنطق الله ﷺ ذلك الصبي الرضيع كما أنطق ﷺ عيسى بن مرريم وهو في المهد، وهذا يعطي المسلم قيمة إيمانية عظيمة في قلبه، عندما يعلم المؤمن يقيناً جازماً أن الله على كل شيء قادر يتعلق قلبه به.

وتأمل قدرة الله ﷺ عندما شق القمر، وأخرج الماء من أصابع خير البشر، كل ذلك يدل على عظيم قدرة الله ﷺ، فإذا سكن ذلك في القلب ثم تغلقت على العبد الأبواب وعلم أن الله ﷺ قادر فإن الله ﷺ قادر على فتح تلك الأبواب المغلقة، ومهما استصعبت الأمور فإن الله ﷺ قادر على تسهيلاها.

ومتى تکالب الأعداء فإن الله ﷺ قادر على كسرهم، ومهما عم البلاء فإن الله ﷺ قادر على رفعه، ومهما وقع الإنسان في شيء من الهم والمرض والمنغصات فإن الله ﷺ سيجعل بعد ذلك العسر يسراً فإن الله ﷺ على كل شيء قادر.

• أما القيمة الأخلاقية: فهي أن على المسلم النظر في حقائق الأمور، ينظر إلى الجوهر، لا ينظر إلى الشكل والمظاهر، الإنسان العاقل يزن الأمور بحقائقها لا بمظاهرها.

وتأملوا الأمّ رأت ذلك على هيئة جميلة خرج على الناس في زينته ومظهره وجماله فتمنت أن يكون ولدتها مثله.

فأنطقه الله ﷺ ليخبره عن حقيقة ذلك الرجل وأنه جبار، ولما رأت تلك الجارية تُضرب وتُتّهم بالسرقة والزنا

الحمد لله الواحد الأحد، نحمده ﷺ على ما أعطى من نعم، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد...

سأقف معكم في هذه النسائم الإيمانية والقيم الأخلاقية مع قصة عظيمة يرويها أبو هريرة **عن النبي ﷺ حيث قال: «وَبَيْنَا صَيِّرَ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَأَرَاهُ، وَشَارَهُ حَسَنَةٍ، - دَابَةٌ نَفْسِيَّةٌ وَفِي مَلَبِّسٍ وَمَظَهِّرٍ جَمِيلٍ - فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَبْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدِيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ - نظر إلى ذلك الرجل -، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ - أَنْطَقَهُ الله ﷺ -، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدِيَهِ فَجَعَلَ يَرْتَضَعُ». قال أبو هريرة: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابية في فمه، فجعل يُمْضِها، قال **«وَمَرَوا بِحَجَارَيْهِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَيَّتْ، سَرَقْتَ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسِّيَ اللَّهُ وَنَعِمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ أَبْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهَنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ - الابن يراجع الأم والأم تراجع الابن - فَقَالَتْ: حَلَقَ مَرَّ رَجُلٌ - على وجه التعجب - حَسَنَ الْهَيَّةَ فَقَلَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَبْنِي مِثْلَهُ، فَقَلَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرَوا بِهِذِهِ الْأَمَّةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَيَّتْ، سَرَقْتَ، فَقَلَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ أَبْنِي مِثْلَهَا فَقَلَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَارًا، فَقَلَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَيَّتْ وَلَمْ تَرْزُنْ، وَسَرَقْتَ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقَلَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا» ^(١) الحديث متفق عليه.****

⁽¹⁾ أخرجه البخاري (٣٤٦٦)، ومسلم (٢٥٥٠) واللفظ مسلم.

الحقائق والأقوال

اللهم
ولَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
أَنْتَ الْحَقُّ وَمَا
بَرَزَ عَنِ الْحَقِيقَةِ

في الختام يجب علينا أن نتحلى بكل قيمة إيمانية، وأن نتجمل بكل قيمة أخلاقية، فقيمة المرء ما يحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل، نسأل الله أن يهدينا لحسن الأخلاق والأقوال، وأن يصرف عنا سينئها.

وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه وسلم كثيراً، وجزاكم الله خيراً.



لماذا لم توقظوني وكأنهم ت قالوا قلوا من شأنها فغضب النبي ﷺ، جاء في الحديث: **«أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُّتَضَعِّفٍ، لَوْ أَفْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَأَهُ»**^(٨).

يأتي من الناس من هو أشعث أغبر، تراه لا تلقي له بال، لكنه لو أقسم على الله لأبره، **«أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٌ، جَوَّاظٌ مُسْتَكِبٌ»**^(٩).

وجاء في الحديث: **«لَعْلَكُمْ تَرْزَقُونَ بِضَعْفَاوْكُمْ»**^(١٠) فلابد على الإنسان أن ينظر إلى هؤلاء بنظرة الرحمة والعطف والعون والمساعدة.

الفائدة الخامسة: ذم الكبر والتجر، وهذه من الصفات الذميمة مهما تجملت، ومهما علت مناصبك، ومهما جمل كلامك، ومهما وصلت في هذه الدنيا من المناصب والمراتب والنسب إذا ذهبت أخلاقك ذهبت قيمتك، إذا تكبرت وتجبرت لم يكن في قلوب الناس لك قدر، ويوم القيمة يُحشر المتكبرون كأمثال الذر، الجزاء من جنس العمل.

الفائدة السادسة: كلمة نجاة، كلمة مهمة ينبغي على الإنسان أن يحافظ عليها كما كانت تقول الجارية: حسبنا الله ونعم الوكيل، مهما ظلمت ومهما ابتليت ومهما افترى عليك الناس ومهما عاداك الناس كن مع الله ستجد النجاة يا ذن الله، حسبنا الله ونعم الوكيل كلمة قالها إبراهيم لما أُلقى في النار فكانت النار برداً وسلاماً، وقالها النبي ﷺ حين جمع له الناس الجموع فانقلبوا بنصر وفضل ولم يمسه أذى.

(٨) أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٤٨٥٣).

(٩) أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٤٨٥٣).

(١٠) أخرجه أبو داود (٢٥٩٤)، والترمذني (١٧٠٢)، والنسائي (٣١٧٩).

الفائدة الثالثة: عدم التسرع في الحكم على الناس، ولابد أن يُقاس الناس بالميزان الصحيح، أحذر من قيل وقال، فلان فيه، وفلانة فيها وسمعنا عن فلان، وقيل عن فلان كذا، ويقال عن فلان، وقد يُبَتَّلِي الإنسان ويُفْتَرِي عليه وهو فاضلٌ خَيْرٌ خلوق، ويرمى بالتهم وبما لم يفعل كما رمي جريج العابد بتهمة الزنا وبرأه الله ﷺ بأن أنطق الصبي واعترف بالحقيقة.

وهذا الباب باب خطير التقول على الناس ورمي الناس بالتهم الباطلة هذا ظلم، فإذا ذكرت فيه **«مَا لِيْسَ فِيهِ فَقدْ بَهَتَهُ»**^(٥) كما قال النبي ﷺ، وإذا تكلمت بما فيه من عيب فقد اغتربت، و**«الْمُسْلِمُ أَخْوَهُ الْمُسْلِمُ لَا يُظْلَمُهُ وَلَا يُحْقَرُهُ وَلَا يُخْذَلُهُ»**^(٦)، **«كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»**^(٧).

الفائدة الرابعة: عدم استحقار الفقراء والمساكين، عدم النظر لأصحاب المهن القليلة أو الصغيرة بنظرة ازدراه وأنهم لا شيء في هذا الكون، وتنظر إلى نفسك بأنك أنت أنت.

فإن العمل بيد الله رزق أعطاك وأعطاه وابتلاك وابتلاه وأنت مبتلا به وهو مبتلا بك، فلابد أن ينظر إليك بنظرة الحب وعدم الحسد، ولابد أن تنظر إليه بنظرة الرحمة لا استحقار فيها.

أتذكرون قصة النبي ﷺ عندما ماتت المرأة السوداء التي كانت تقم المسجد، امرأة كانت تقم المسجد أي تنظف المسجد، فماتت فدفونها من الليل، فأخبرهم النبي ﷺ

(٥) أخرجه مسلم (٤٥٨٩).

(٦) أخرجه مسلم (٤٥٦٤).

(٧) أخرجه مسلم (٤٥٦٤).